البحث العلمي في الجزائر ـ التحديات والرهانات

أ.ه/ نسيمة أمال حيفري
محامية/ جامعة وهران٢ ــ الجزائر ــ كلية الحقوق

ملخص:

إن الجامعة بالإضافة إلى وظيفتها في إعداد القوى والكوادر البشرية تحمل على عاتقها وظيفة ثانية بذات الأهمية وهي القيام بالبحوث العلمية والتدريس، ويعتبر البحث العلمي أحد الأعمال التي يستند إليها التعليم الجامعي في مفهومه المعاصر إذ يعتبر البحث العلمي من أهم وأبرز وظائف الجامعة باعتباره الوسيلة الفعالة لتحقيق أي تقدم علمي أو إجتماعي أو إقتصادي لذلك أصبح كمقياس يقاس به مدى تقدم الدول أو تأخرها.

من أجل هذا كان لزاما على الجامعة القيام بالبحوث العلمية في كل الاختصاصات حتى تحقق التنمية في مختلف الجوانب الحيوية للمجتمع. وبالتالي وحتى تتطور الجامعة وتحتل مكانة مرموقة وطنيا وعالميا يجب عليها التوظيف الفعال لطاقتها البشرية والاستغلال العقلاني لإمكانيتها البحثية المعتبرة وهو ما تفتقده الجامعات الجزائرية لذا نجد أنه من الأزمات الحادة والمستعصية المطروحة على مستوى البنية المعرفية أزمة البحث العلمي وهويته في المؤسسات الجامعية الجزائرية انطلاقا من الواقع المعقد الذي أفرز العديد من المعوقات.

من بين هذه المعوقات ما يتعلق بالقوانين والإجراءات الإدارية التي يكون فيها الحرص على التقيد بالنصوص القانونية وليس تحقيق الأهداف المرجوة من البحث العلمي، إضافة إلى عدم وجود متابعة مستمرة من شأنها أن تدفع بالباحث إلى العمل بجدية أكثر للوصول إلى نتائج مرضية، وكذلك قلة المؤطرين الأكفاء من ذوي الاختصاص المتميزين، كما أن من بين العوائق أيضا ما يتمثل في ضعف البنية التحتية إذ لا يزال البحث العلمي كصناعة ضعيفا جدا في بنيته التحتية وفي كفاءاته، والبلدان التي تطورت علميا وضعت إستراتيجية جعلت البحث العلمي صناعة متكاملة مع الاقتصاد. كل ذلك يشكل عقبة حقيقية أمام تطور البحث العلمي وبالتالي تطور الجامعة.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي - الجامعة - المنهجية - التحديات -

Abstract :

The university in addition to her job in the preparation of powers and human resources bearing upon themselves a second job as important and is doing scientific research and teaching, and is a scientific research a business which it is based university education in the contemporary concept as it is a scientific research of the most important and the most prominent positions the university as an effective means to achieve any scientific progress or social or economic, it has become a measure is measured by the extent of the progress of nations or delay. For this was the duty of the university to do scientific research in all disciplines in order to achieve development in all vital aspects of society.

And so for the university to develop and occupies a high profile nationally and globally must effective functioning human capacity and exploitation of rational research considered for its potential, which is missing in Algerian universities so we find that the acute crises and chronic before the cognitive structure of the level of the crisis of scientific research and its identity in the Algerian university institutions from the complex realities It produced several constraints.

Among these constraints with regard to the laws and administrative procedures in which the careful adherence to legal texts and not achieve the desired scientific research objectives, in addition to the lack of continuous follow-up would be paid researcher to work more seriously to reach satisfactory results, as well as the lack of trainers qualified to specialists outstanding, and that one of the obstacles is also what is the poor infrastructure as scientific research is still very weak as an industry in its infrastructure and in his ability, to countries that have developed scientifically developed strategy has made scientific research industry with an integrated economy. All of this constitutes a real obstacle to the development of scientific research and thus the evolution of the university.

key words :Research – University – Methodology – Challenges

مقدمـــــة:

الجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات في مختلف الدول أصبحت من أهم المؤسسات في الدولة، حيث أنها تسهر على تقديم تعليم عال وتكوين متخصص ودائم للقوى البشرية اللازمة للتنمية الوطنية، في المهن والوظائف المختلفة، والتخصصات

المطلوبة، وفي جميع ميادين العلم والمعرفة، كما تعمل على ترقية الثقافة الوطنية والإنسانية، والنشاط الفكري بصفة عامة بما تملكه الجامعة من رصيد ثقافي وعلمي وبيداغوجي وبما تضمه من كفاءات فهي مجتمع المثقفين والعلماء ومن خلال هذا فإن الجامعة تلعب دوراً أساسياً في تقدم المجتمعات فهي التي تنتج الكوادر البشرية المدربة المؤهلة وهي مركز الأبحاث العلمية التي تعمل نتائجها العلمية على تطور وتقدم المجتمعات وازدهارها في جميع المجالات. فالجامعة هي المؤسسة المتخصصة التي تقدم للمجتمع أشكالا متنوعة من الاستثمارات والخدمات[١].

ونظرا للأهمية البالغة التي يكتسيها التعليم في دول حديثة العهد بالاستقلال مثل الجزائر، فقد حظيت بالدعم على كافة المستويات، فانعكس ذلك على التطور الكمي الهائل لمنظومة التعليم العالي، وأصبح عدد الأساتذة بعدد الآلاف والطلبة بمئات الآلاف في ظرف قصير نسبيا، وكان لابد أن يواكب هذا التطور الكمي للمؤسسات تطورا في الهياكل التنظيمية. ويعتبر البحث العلمي عنصرا هاما من عوامل الخلق والإبداع المعرفي وتحقيق التقدم التكنولوجي ومن خلال البحث العلمي يستطيع الإنسان اكتشاف المجهول وتفسيره لصالح المجتمع بما يحقق التنمية والازدهار في مجالات الحياة كافة[٢].

إن الجامعة بالإضافة إلى وظيفتها في إعداد القوى والكوادر البشرية تحمل على عاتقها وظيفة ثانية بذات الأهمية، وهي القيام بالبحوث العلمية والتدريس، لكن الأهمية النسبية التي توليها الجامعات لكلا الدورين تختلف من جامعة لأخرى، بل وفي نفس الجامعة باختلاف التخصصات. أي هناك بعض الجامعات تولي أهمية أكبر للبحث العلمي والتفوق فيه، وهناك جامعات تولي أهمية أكبر للتدريس والتفوق فيه، ونفس

---

[١] الحاج قدوري. الإهدار التربوي لدى طلاب كلية العلوم والعلوم الهندسية بالجامعة الجزائرية - ورقلة نموذجا - رسالة لنيل شهادة الماجستير. جامعة ورقلة كلية الآداب والعلوم الانسانية قسم علم النفس وعلوم التربية. ٢٠٠٥/٠٦/٣٠. ص ٧٧.

[٢] أيمن يوسف. تطور التعليم العالي. رسالة لنيل شهادة الماجستير. جامعة بن يوسف بن خدة. الجزائر. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. قسم علم الاجتماع. ٢٠٠٧/٢٠٠٨. ص ١٢.

الشيء بالنسبة للجامعة الواحدة باختلاف التخصصات فهناك تخصصات تركز على التدريس أكثر من البحث العلمي وتخصصات أخرى على العكس من ذلك[٣].

وهنا تطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

- هل المجهودات التي تبذلها الدولة والممثلة في مؤسساتها الرسمية نجحت في إعطاء دفعة قوية للتعليم العالي والبحث العلمي بهدف مواكبة التطورات العالمية؟
- وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:
- هل ساهمت مجهودات الدولة المبذولة في سبيل تطوير البحث العلمي على تطوير وتنمية المجتمع الجزائري وتحقيق قفزة تنموية نوعية؟
- وما هي سياسات تطوير الجامعة في الجزائر؟
- وهل إصلاح التعليم العالي الجديد مكن من تحقيق الأهداف العامة المسطرة لترقية البحث العلمي؟
- هل ما أنجزه طلبة الدراسات العليا من بحوث علمية يتسم بالعلمية أم أنه مجرد استنساخ لما قبله؟
- وهل يمكن اعتبار الجانب المادي عائق أمام تطوير البحث العلمي في الجامعة؟
- وهل للجوانب الإجتماعية دور في إعاقة البحث العلمي في الجامعة الجزائرية؟

للإجابة على هذه التساؤلات سنقوم من خلال هذا البحث دراسة تطور البحث العلمي في ظل الرهانات والتحديات العالمية، لمعرفة سياسات تطوير الجامعة في الجزائر. ومن أجل ذلك سوف نقسم بحثنا إلى قسمين:

الأول يتعلق بدراسة أهم آليات البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، والقسم الثاني يتعلق بأهم العوائق التي تعترض تطبيق تلك البحوث في ظل التحديات الراهنة مع الإشارة إلى آفاق تطور البحث العلمي في الجزائر.

[٣] الحاج قدوري. المرجع السابق. ص ٨١.

أولا: آليات تطوير البحث العلمي في الجامعة الجزائرية

يمكننا القول أن البداية العملية في تنظيم البحث العلمي كانت مع ظهور وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في سنة 1970 ، إذ عملت هذه الأخيرة في إطار إستراتيجية إصلاح التعليم الذي شرع فيه سنة 1971 الى إحداث المنظمة الوطنية للبحث العلمي، والمجلس الوطني للبحث سنة 1973 وأسند الى الأولى مهمة تنفيذ مشاريع البحث والى الثانية دور تحديد توجهات البحث، وإعداد المخطط الوطني للبحث بناء على متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادي. وانطلقت هذه المنظمة بتعبئة هيئة التدريس في الجامعات الثلاث) جامعة الجزائر، وهران وقسنطينة... أما المجلس الوطني للبحث فقد بادر بفتح مناقشات حول محتوى برامج البحث، خاصة تلك المتصلة بالقطاعات الحساسة بالنسبة للجزائر مثل الطاقة التكنولوجيا، الزراعة ، السكن والتربية[٤].

لم تولي الجزائر البحث العلمي أولوية بعد الاستقلال مباشرة نظرا للظروف المتأزمة التي عاشتها البلاد آنذاك، ففي هذه الفترة كانت مشاريع البحث العلمي تقترح وتوجه من قبل المؤسسات الفرنسية المعروفة تحت إسم " مؤسسة التعاون العلمي الجزائرية الفرنسية (O.C.S.) ، التي أنشأت سنة ١٩٦٧ لغاية حلها سنة ١٩٧٢. ثم بعد إنشاء وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سنة ١٩٧٠ ، وبعد إصلاح التعليم العالي بدأ التفكير في تنظيم البحث العلمي، أنشأت في سنة ١٩٧٣ مؤسستان هما :

- المجلس الوطني للبحث "(C.N.R.) - مهمته تحديد توجهات البحث والمخطط الوطني للبحث.
- الديوان الوطني للبحث العلمي (O.N.R.S.) " وهو هيئة مكلفة بتنفيذ البحث.

تميزت هذه المرحلة بـ:

- إنشاء إدارة البحث ومراكز البحث وكذا تنصيب هياكل المجلس الوطني للبحث

[٤] أيمن يوسف. المرجع السابق. ص ٦٧.

- انطلقت خلال هذه الفترة مناقشات المجلس الوطني للبحث حول تخطيط وإعداد برامج البحث العلمي ذات الأولوية الوطنية مثل التكنولوجيا، المواد الأولية، الطاقة، التربية والتكوين.
- أشغال الدورة الخامسة للمجلس الوطني للبحث المنعقدة في جويلية ١٩٧٩ ، فقد أسفرت عن :
  - إنشاء " اللجنة الدائمة لتخطيط البحث (C.P.P.R)
  - اعتماد مبدأ تخصيص ميزانية للبحث.
- تقرر وضع اللجنة الوطنية لتخطيط البحث تحت الوصاية المشتركة للوزارة المكلفة بالتخطيط، والوزارة المكلفة بالتعليم العالي والبحث العلمي [٥].

إن تمويل البحث العلمي والتطور التكنولوجي للفترة ٢٠٠٨-٢٠١٢ مرتبط بالأهداف العلمية ويتكفل بكل الأعمال المبرمجة من حيث البرمجة والتقييم والتثمين الاقتصادي وتدعيم محيط البحث وتنظيمه وإنجاز الهياكل القاعدية والتجهيزات الكبرى الخاصة بالبحث والتعاون العلمي وكذا الجوانب المتعلقة بالمعلومات العلمية والتقنية، وحدد الغلاف المالي المخصص للخمس سنوات إلى ما يقارب ١٠٠ مليار دينار. وينبغي وبشكل متواز مع هذا الهدف لتمويل البحث العلمي يجري اتخاذ كافة الإجراءات التشريعية لإعفاء التجهيزات القادمة من السوق المحلي أو المستوردة الموجهة لنشاطات البحث العلمي والتطوير التكنولوجي من الرسوم الجمركية والرسم على القيمة المضافة [٦].

ولتنفيذ هذا البرنامج الهام توجب إحداث إدارة متفرغة كليا لأعمال البرمجة والتقييم والتنظيم وتطوير الموارد البشرية والتخطيط وكذا التعاون العلمي والتمويل. ولقد تم إدراج البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مجموع قطاعات النشاط حتى يسمح بالتكفل بالتعديلات التي أملاها ظهور وضعيات جديدة سواء أحدثها التطور الاقتصادي

---

[٥] غنية شليغم و كاوجة محمد الصغير. مقال حول السياية البحثية في الجزائر الآليات والعوائق.

[٦] عبد الكريم بن أعراب، أهمية استقرار المنظومة الجزائرية للبحث العلمي في تحقيق التنمية الإنسانية، جامعة قسنطينة، LABECOM، الجزائر، ص ١١.

والاجتماعي أو استغلال نتائج البحث العلمي والتطور التكنولوجي وسواء كانت هذه النتائج حصيلة البحث الوطني أو تعكس التقدم في العالم [٧].

في الجزائر ٢١ ألف باحث على المستوى الوطني ينشطون في ٧٨٩ مخبرا إلا أن العدد ضئيل مقارنة بالدول المجاورة والمتطورة في هذا الميدان، وأيضا بعدد السكان في الجزائر البالغ ٤٠ مليون نسمة، مما يعني وجود ٦٠٠ باحث لكل مليون نسمة، وهذا الرقم أقل بأربع مرات مقارنة بتونس التي يمثل عدد الباحثين فيها في كل مليون نسمة ٢٣٠٠ باحث وأقل بسبع مرات مقارنة بفرنسا التي يبلغ عدد باحثيها ٤٣٠٠ باحث لكل مليون نسمة. فالمعايير الدولية في إصباغ سمة العلمية على أي بلاد هي أن يكون بها ٢٠٠٠ باحث لمليون نسمة، ومن أجل ذلك سطرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مشروعا للإمتيازية من أجل رفع مستوى الطامحين إلى التدرج في التحصيل العلمي والمعرفي الممتاز، مشيرا في ذات السياق إلى الاصلاحات التي سارت في الوزارة ابتداء من السنوات التحضيرية الجامعية لتشجيع، والمتعلقة تعلقا مباشرا بالامتياز. فوظيفة المديرية العامة للبحث تنصب في البحث عن المهارات، والسعي لدمجها في الميدان، من خلال مساعدتها على المواصلة في مشاريع الدكتوراه ذات الصلة بالنمو التكنولوجي بالنسبة للفئة الحاصلة على الماستر أو الماجستير [٨].

خلال سنة ٢٠٠٨ بلغ عدد الجامعات الجزائرية ٢٧ جامعة و٢٠ مركزا جامعيا لمجموع ١,١٦٠,٠٠٠ طالب منهم ٨٨٠,٠٠٠ مستفيد من المنحة، و٢٥٤ إقامة جامعية و ٤٥٦٠٠٠ سرير، وخلال نفس السنة بلغ عدد حاملي الشهادات المتخرجين كل سنة من الجامعة ١٤١,٠٠٠ متخرج، فيما شهد التأطير الجامعي تطورا ليصل إلى ٣١,٧٠٣ أستاذ [٩].

أما عن آخر إحصائيات سنة ٢٠١٣ أصبحت تضم الشبكة الجامعية الجزائرية ٩١ مؤسسة تعليم عالي موزعة على كامل أنحاء البلاد (٤٨ ولاية)، منها:

---

[٧] عبد الكريم بن أعراب، المرجع نفسه، ص ١١.

[٨] غنية شليغم و كاوجة محمد الصغير. المرجع السابق.

[٩] مقدم وهيبة. الحاجة إلى تطوير المناهج الجامعية بما يتناسب مع متطلبات سوق الشغل في الجزائر. ص ٩.

٤٧ جامعة و١٠ مراكز جامعية و١٩ مدرسة وطنية عليا و٥ مدارس عليا و١٠ مدارس تحضيرية. تشمل شبكة البحث العلمي ١١ مركز بحث و٤ وحدات بحث و٣ وكالات أبحاث بالإضافة إلى مختبرات بحث عديدة. بلغ عدد الطلبة الجزائريين في الموسم الجامعي ٢٠١٢/٢٠١٣ حوالي ١,١٤١,٦٦١ طالب بالإضافة إلى ٧٦٧٢ طالب أجنبي يسهر على خدمتهم ٥٩ مديرية خدمات جامعية في حوالي ٣٨٨ إقامة جامعية، يستفيد ٧٥،٥ ٪ منهم من المنح الجامعية و٣٩٪ من حق الإيواء[١٠].

ترتيب أول عشر جامعات جزائرية وطنياً إفريقياً وعالمياً [١١]

إسم الجامعة أو المؤسسة	المدينة	الترتيب الوطني	الترتيب الإفريقي	الترتيب العالمي
جامعة العلوم والتكنولوجيا هواري بومدين	الجزائر	1	29	2756
جامعة الجزائر	الجزائر	2	47	3833
جامعة منتوري	قسنطينة	3	48	3962
جامعة باجي مختار	عنابة	4	49	3996
جامعة السانية	وهران	5	50	4015
جامعة الحاج لخضر	باتنة	6	64	4332
جامعة أبي بكر بلقايد	تلمسان	7	78	4951
جامعة مولود معمري	تيزي وزو	8	87	5065
المدرسة الوطنية العليا للإعلام الآلي	الجزائر	9	بعد الـ ١٠٠	5758
المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات بالجزائر	الجزائر	10	بعد الـ ١٠٠	5797

إن البحث العلمي يسعى دائما الى تطور وتسعى الدولة دائما الى تطور هذا البحث الذي يمثل مواكبة التطورات الخارجية والبقاء في الدورة التنموية والتطور الحاصل في المجتمعات العالمية الأخرى[١٢].

---

[١٠] علوم وتقنية في الجزائر - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[١١] علوم وتقنية في الجزائر - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. المرجع نفسه.

ومن خلال هذا فإن الوظيفة الثانية للجامعة القيام بالبحوث العلمية، لأن نتائج البحث العلمي تعبر عن الخبرة، والطاقة التي تسير بها الدولة في طريق الاستمرارية والنمو، كما تعبر أيضاً عن أحد الجوانب الاستقلال الذاتي للبلاد، فالدولة التابعة لغيرها في مجال الإنتاج العلمي، لا تعتبر مستقلة فهي كالإنسان المشلول ، إن لم يحمله أحد ويعمل على مساعدته ، فلن يستطيع أن يستمر في الحياة، من أجل هذا كان لزاماً على الجامعة القيام بالبحوث العلمية في كل الاختصاصات، حتى تحقق التنمية في مختلف الجوانب الحيوية للمجتمع[١٣].

ثانيا: آفاق تطور البحث العلمي في الجزائر في ظل العوائق والتحديات الراهنة

يواجه التعليم العالي في الجزائر مجموعة من التحديات يمكن إجمالها فيما يلي:

أ) الطلب المتزايد على التعليم العالي و تزايد أعداد الطلبة حيث ... يقدر عدد الطلبة الحائزين على شهادة البكالوريا للسنة الدراسية ٢٠٠٥-٢٠٠٦ بأكثر من ٢٢٠٠٠٠ طالب و هو أكثر بقليل بالنسبة لبكالوريا ٢٠٠٦-٢٠٠٧، كما أن الهياكل المنجزة غير مواكبة للزيادات العددية للطلبة بحيث في كل سنة جامعية يتأخر موعد الدخول الفعلي بسبب الخدمات الجامعية المتأخرة و ذلك بالرغم من المجهودات المبذولة في سبيل احتضان الأعداد الهائلة للطلبة .

ب) قلة التأطير حيث يقدر عدد الأساتذة المؤطرين للطلبة ب: ٢٥٢٢٩ أستاذ دائم أغلبهم برتبة أستاذ مساعد كما أن نسبة كبيرة من أساتذة التعليم العالي (بروفسور) على أبواب التقاعد.

ت) نمطية التكوين المبنية على التلقين بحيث لا تفتح المجال للإبداع و الابتكار الفردي و إن وجد هذا فإنه يبقى محاولات فردية و ليست سياسة تعليمية.

ث) التكوين الكمي على حساب التكوين النوعي و ذلك للتكلفة التي أصبح يتطلبها التعليم الأمر الذي أثقل كاهل الدولة إضافة إلى تغير منظومة القيم المجتمعية بحيث لم يبقى للتعليم نفس المكانة المرموقة التي كان يحظى بها في السابق.

---

[١٢] أيمن يوسف. المرجع السابق. ص ٧٢.

[١٣] الحاج قدوري. المرجع السابق. ص ٨٤.

ج) هجرة الكفاءات و عدم بقائها في الداخل للمساهمة في التأطير و تكوين و تنمية البلاد.
ح) البحوث المنجزة هي بحوث من أجل نيل الشهادات و ليست بحوث تنجز بهدف التطبيق العملي لها مما أدى إلى الحد من فعالية البحث العلمي و عدم مساهمته في تفعيل العملية التنموية.
خ) تنامي معدلات البطالة بين خريجي الجامعات [١٤].

شهدت الجامعة الجزائرية في الوقت الراهن عدة مشاكل اقتصادية وبيداغوجية وادارية وفي مجموعة من المجالات، مثل ضعف التمويل ومدى توفير فرص الالتحاق بالجامعة وسير الدراسة وترقية العاملين بالقطاع ومدى أهمية البرامج وكفاءتها، وقضية توظيف الخريجين وتحسين نوعية التعليم والبحث والخدمات والحفاظ عليها [١٥].

إذا كانت السياسات التي اعتمدتها الدولة الجزائرية من أجل تطوير البحث العلمي عامة واعد فهناك فرق البحث التكوينية و هناك البرنامج الوطني للبحث و هناك مخابر و مراكز ووحدات البحث كلها آليات وضعت من أجل الارتقاء بالبحث العلمي و تخصيص ١٪ من الدخل القومي كميزانية للبحث، إلا أن الانجازات لاتزال تعترضها مجموعة من العوائق، لعل أهمها بيروقراطية التسيير التي تحول دون تحقيق نتائج البحث، ... إن البحث العلمي لا يعاني من قلة الموارد المالية بل من التسيير البيرقراطي للإدارة التي تأخذ أكثر من ٦٠٪ من ميزانية البحث العلمي، والباقي ينفق على البحث التكويني وليس البحث الاستكشافي، ولهذا السبب فإن نتائج البحث العلمي ما زالت ضعيفة. يضاف إلى ذلك "عدم تسيير البحث العلمي وفق المعايير العالمية في مراكز البحوث" [١٦].

إضافة إلى سوء التسيير حيث "توزع معظم النفقات على لوازم مكتبية وتذاكر سفر للمشاركة في مؤتمرات بالخارج، والقليل ينفق على لوازم البحث العلمي. والمشكلة للأسف

[١٤] بن محمد نعيم. التعليم العالي في الجزائر: التحديات، الرهانات وأساليب التطوير. مقال منشور بموقع معهد الهقار بتاريخ: ١٢ أفريل ٢٠٠٨.
[١٥] الحاج قدوري المرجع السابق. ص ٩٤.
[١٦] غنية شليغم و كاوجة محمد الصغير. المرجع السابق.

أن مخصصات البحث العلمي يمتصها الفساد الإداري والمالي." هذا عن المعوقات المادية و البيروقراطية. بالإضافة أن الفكرة السائدة في أوساط مؤسسية وفي أوساط العامة على السواء بأن النقص في العلوم الأساسية أحد أهم أسباب تخلف العرب الراهن. وبأن العلوم الأساسية المنقذ لنا مما نحن عليه. وترتب على اعتقاد كهذا الاهتمام الزائد بهذه العلوم تدريساً في المدارس والجامعات، مع إهمال للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

وعليه يمكن إبراز أهم المعوقات التي تعترض تطور البحث العلمي في الجزائر كالتالي:

١ /ـ الإهمال السياسي:

إن نقص التمويل يفسر في جانب كبير منه إهمال السلطات السياسية أو الحاكمة للبحث العلمي في الجامعات حيث ينصرف اهتمامها الأول الى نوعين من البحوث:

❖ بحوث الإنماء العسكري الذي يعرفه التجييش الحديث والتسليح المتطور، حيث يشجع الدولة على السيطرة والتفوق على الغير، ويمكننا من جني ثمار عائد ربحي يتجاوز بمرات كثيرة الإنفاق البحث أو التصنيعي.

❖ بحوث الإنماء الاقتصادي أو الإنتاجي الذي يعرفه عالم الصناعة المتقدمة.

في الجزائر في ميدان البحث العلمي والتطوير التكنولوجي، قدرت الطاقة البشرية العاملة في هذا الميدان خلال سنة ١٩٩٨ بنحو٣٢٥٧ باحث أي ١١٦ باحث لكل مليون ساكن، حيث ارتفعت إلى حوالي ٨٠٠٠ باحث سنة ٢٠٠٠، لتصل إلى حوالي ١١٥٠٠ باحث مع نهاية سنة ٢٠٠٢ [١٧].

إضافة إلى محدودية الحريات الأكاديمية ليس فقط من الناحية البيرقراطية في المحيط الجامعي والأكاديمي، فلا يمكن الحديث عن بحث علمي بدون حريات أكاديمية متطورة [١٨].

---

[١٧] الطاهر هارون و فاطمة حفيظ. مقال بعنوان: إشكالية الابتكار والبحث والتطوير في دول المغرب العربي (تونس، المغرب والجزائر). الملتقى الدولي حول اقتصاد المعرفة. كلية العلوم الاقتصادية والتسيير. جامعة بسكرة. نوفمبر ٢٠٠٥.

[١٨] أميمة أحمد. البحث العلمي بالجزائر بين زيادة الميزانية وإزالة العقبات. موقع الجزيرة نت. بتاريخ: ٢٠٠٨/١٠/٠٨. آخر تحديث الساعة ١٢:٠٩.

٢/ـ نقص التمويل:

لا تجد معظم الجامعات ميزانية كافية لتمويل البحوث العلمية التي يمكن أن تنهض بها سواء كانت هذه الجامعات في الدول المتقدمة أم كانت في الدول المتخلفة، ويفسر ذلك أن رواتب أعضاء التدريس والموظفين بها تلتهم النسبة الكبرى مما يخصص للجامعات من أموال وتبلغ في المتوسط حوالي 80 % أو أكثر ويطلب من النسبة الصغيرة المتبقية أن تغطي كافة الإنفاق الأخرى مما ينعكس سلبا على كل شيء[١٩].

إن الجزائر تسعى جاهدة من أجل توفير الإمكانات الضرورية للتجهيز والتسيير والتكوين ويبرز هذا في المبالغ الهامة التي تخصصها في ميزانيتها السنوية والتكميلية حيث خصصت مثلا ما قيمته ١٢,٤مليار من ميزانية البحث العلمي المخصصة لدعم برنامج الإنعاش الاقتصادي ما بين٢٠٠١ و٢٠٠٤ للقيام بعملية التجهيز بالتكنولوجيات الحديثة خاصة المعدات الالكترونية كما أن المشروع الخماسي المعد لغاية٢٠١٠ اعتمد على ميزانية قدرها ١٠٠ مليار دينار جزائري وحظي الجانب التجهيزي منها بجزء معتبر ورغم هذه المجهودات إلا أنه لم يكن كافيا بقي تمويل البحث العلمي ناقصا [٢٠].

٣/ـ عزلة جامعية:

إن قلة فعالية البحث العلمي في الجامعات على صعيد التنمية، هو وضعها الأكاديمي الذي يكاد يعزلها عن بقية المؤسسات المشتغلة بالبحوث العسكرية والإنتاجية والتي تخضع لمؤثرات ودوافع تحثها على مجاراة التطور وكسب سباق المنافسة بين الدول الكبرى على الصعيد العالمي، وهذا الوضع يكاد يكون ظاهرة عامة في الدول العربية والنامية في عدد قليل من الدول الغربية[٢١].

---

[١٩] أيمن يوسف. المرجع السابق. ص ٧٢.

[٢٠] نعيم بن محمد ، التعليم العالي في الجزائر: التحديات، الرهانات و أساليب التطوير، موقع معهد الهقار، (٢٣/٠٤/٢٠١٠)، www.hoggar.org

[٢١] اتحاد مجالس البحث العلمي، البحث العلمي في الأقطار العربية، ورقة مقدمة للمؤتمر الرابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق. ١١/١٢/١٩٨٧. ص ١٩.

٤/ـ ضعف الدافعية الذاتية:

إن ما ينشر سنويا في الوطن العربي لا يتجاوز 15 ألف بحث أي أن معدل الإنتاجية الحقيقي هو في حدود 0.3بحث لكل باحث في السنة وهي كما نرى إنتاجية ضعيفة جدا لا يوجد لها مثيل في الدول النامية ... والتي تتراوح ما بين 1 و2 بحث لكل باحث في السنة. إن ضعف الدافعية الذاتية ليست في جوهر الأمر مزاجا فرديا، يتوقف كلية على ذاتية الباحث ولكنه محصاة عوامل مجتمعية وإدارية وثقافية واقتصادية تتشابك كلها في خلق مناخ خانق يقتل ملكات الإبداع ويطارد الباحثين[٢٢].

فقلة الوعي بالبحث العلمي، فالمفروض أن تتحول الجامعات وكبار المفكرين والباحثين بها إلى منتجين للأفكار والنظريات في مجال البحث العلمي، والمؤسسات السياسية والاقتصادية والمدارس التطبيقية إلى ورش عمل لتطبيق وتنفيذ التوصيات العلمية التي يقترحها كبار المختصين والباحثين في الجامعات، أي أن هناك مؤسسات جامعية يتم فيها إنتاج الأفكار والتصورات والاستراتيجيات، وهناك المؤسسات التي تختار ما تطبقه وتستفيد منه في مجال تخصصها. ولهذا، فالمفروض أن لا تقوم المؤسسات بإنشاء مراكز البحث الموجودة فيها وإنما تتوجه إلى مراكز البحث في الجامعات حيث يوجد كبار العلماء والمفكرين الذين يحصلون على دعم مالي لتمويل مشاريع الأبحاث التي تخصهم [٢٣].

إضافة إلى ما سبق نجد مشكل الخلط بين البحث العلمي في مجال العلوم الطبية وعلم الأحياء والرياضيات من جهة، والعلوم الإنسانية بصفة عامة من جهة أخرى، ينبغي أن يكون هناك فرقا شاسعا بين مكونات وطرق البحث في مجال العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية .فإذا كانت العلوم الطبية تحتاج إلى مخابر لفحص العينات وإجراء التجارب والتعرف على النتائج التي تتمخض عنها الفحوصات الدقيقة، فإن العلوم

---

[٢٢] أيمن يوسف. المرجع السابق. ص ٧٥

[٢٣] http://www.startimes.com/f.aspx?t=33772280

الإنسانية، بصفة عامة تحتاج إلى مراكز أبحاث لفحص وتحليل الوثائق وتحديد السلوك الإنساني [٢٤].

٥/ـ النظام الجامعي الجديد:

وترجع العقبات أيضا إلى النظام الجديد الذي اعتمدته الحكومة الجزائرية في جامعاتها والمتمثل في نظام "أل أم دي" الذي لاقى عدة انتقادات والكثير من الجدل من مختلف الفئات إلى أن صدر مؤخرا تم مساواة النظام الكلاسيكي بنظام "أل أم دي" بموجب القرار الذي أصدره الوزير الأول السيد عبد المالك سلال بتاريخ: ١٧ ماي ٢٠١٥ والذي يمنح لحاملي شهادة الدكتواره LMD نفس الحقوق لشهادة الدكتوراه في العلوم، وهو القرار الذي أثار حفيظة العديد من الطلاب من النظام الكلاسيكي على اعتبار أن الطورين لم يخضعا لنفس مدة التكوين ولا نفس قيمة التكوين.

فيرى البعض أن الجامعة مع نظام LMD ذاهبة الى تمييع الشهادات وإفراز جبهة كبيرة للبطالة، الجامعة الجزائرية مع نظامLMD ذاهبة الى تمييع و افقاد الشهادات العلمية لقيمتها .... عما قريب سيتخرج الملايين من البطالين اصحاب ليسانس LMD ذو الثلاث سنوات فقط . وبعدها بعامين فقط يتخرج الملايين من البطالين الحاصلين على شهادة الماستر بتخصصات ليست منتجة ولا تمس لواقع الشغل بأي صلة... وبعدها بثلاثة سنوات يكون الامر سيان ويتخرج مئات الالاف من أصحاب شهادة الدكتوراه... لقد بدأت الشهادات العلمية لما بعد التدرج تفقد من قيمتها العلمية والتأهيلية بحيث أصبح الجميع إطارات ودكاترة ومسيرين ومسؤولين لا فرق بينهم في المستوى.

خـــــاتمة:

ونظرا للأهمية الكبرى التي تحظى بها الجامعة كان على التعليم العالي أن يكون في قدر المسؤولية المخولة إليه، في نشر المعرفة والثقافة العامة، والسعي الى تحقيق التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي في كل المجالات من خلال البحث العلمي الذي يعتبر كأداة من أدوات التنمية المؤهلة لتطوير المجتمع ورقيه.

---

[٢٤] المرجع نفسه

إن الجامعة الجزائرية وواقعها اليوم يتطلب ولا شك إعادة النظر وإعادة التفكير من أجل بناء قدرة علمية ومهنية وثقافية واجتماعية قوامها التكوين الجيد والمتابعة الحسنة للطلبة خاصة منهم طلبة الدراسات العليا، هذا التكوين الذي يتطلب تحول التعليم في الجامعة الجزائرية من مستوى التلقين إلى مستوى التفكير.

والجامعات إذا ما أرادت التقدم بخططها نحو المستقبل لا بد لها من التنسيق مع مواقع الإنتاج والخدمات في مجتمعاتها وبيئتها المحلية لتوفير مصادر تميل لهذه الخطط وبشكل عاجل ومستمر، وكلما نجحت هذه الجامعات في إقامة وتدعيم شبكات تنسيق بينها وبين مواقع الإنتاج كلما نجحت في تفعيل برامجها سواء من الناحية الأكاديمية من حيث الإنفاق على التجهيزات وتمويل إعداد طلبة الدراسات العليا، أو من أجل دعم البحوث وتوفير فرص التدريب للباحثين في هذه القطاعات.

التوصيات:

- نشر الوعي بأهمية أنشطة البحث والتطوير مع ترقية أنظمة المعلومات لدى مراكز البحث.
- التحسين والتطوير من الوضعية الاجتماعية للأساتذة وتمكينهم من التكنولوجيا، حتى يتسنى لهم التفرغ للعلم والبحث.
- تفعيل فرق البحث وتشجيع الأعمال العلمية وتقديم التسهيلات للراغبين في الإنتاج المعرفي فيما يتعلق بفرق البحث، النشر وغيرها.
- بعث الثقة الدائمة بين الجهاز الإداري والأطراف الأخرى من طلبة وأساتذة وذلك من خلال تسهيل المعاملات الإدارية من خلال الدعم المالي والمعنوي والمادي بالأجهزة وتحسين وضعية الإدارة من خلال الهياكل.
- مساعدة الوكالة الوطنية على تثمين نتائج البحث للدخول في المرحلة العملية، والانطلاق الفعلي في أداء مهامها، إضافة إلى الدعوة إلى إنشاء مخابر وفرق بحث مختلطة مع القطاعات الأخرى للاقتصاد قصد تشجيع عملي لتثمين نتائج البحث العلمي.
- تجهيز مراكز ومخابر البحث بالمعدات العلمية والتقنية المتخصصة، وتشجيع العاملين في قطاع البحث والتطوير عن طريق منح الحوافز المالية.

- وضع الإطار الملائم لمساعدة هيئات البحث والباحثين على إنشاء المؤسسات المبدعة، واتخاذ إجراءات تحفيزية ذات طابع جبائي لصالح المؤسسات الاقتصادية التي تستثمر في أنشطة البحث، مع دعم الوكالة الوطنية لتثمين نتائج البحث، وإصدار تشريعات حول الملكية الصناعية ضمن البحث العمومي.
- إنشاء هياكل جهوية لاحتضان وتسيير التجهيزات العلمية الكبرى الممكن استعمالها جماعيا من طرف مختلف المؤسسات البحثية، وتمويل المشاريع المتبقية التي تحتوي عليها البرامج الوطنية للبحث.
- ضرورة تحسين الوضع القائم في الجامعة خاصة في مجال التكوين الجامعي حتى نتمكن من تحقيق التنمية المنشودة للبلاد فعلى الجامعة واجب حتمي هو إعادة بلورة أدوارها وأهدافها وواجباتها بما يتفق مع ما تفرضه ظروف التغيير الحضاري والثقافي الحاصل اليوم.

قائمة المصادر والمراجع:

١/ أميمة أحمد. البحث العلمي بالجزائر بين زيادة الميزانية وإزالة العقبات. موقع الجزيرة نت. بتاريخ: ٠٨/١٠/٢٠٠٨. آخر تحديث الساعة ١٢:٠٩.

٢/ أيمن يوسف. تطور التعليم العالي. رسالة لنيل شهادة الماجستير. جامعة بن يوسف بن خدة. الجزائر. كلية العلوم الاجتماعية والانسانية. قسم علم الاجتماع. ٢٠٠٧/٢٠٠٨.

٣/ بن محمد نعيم. التعليم العالي في الجزائر: التحديات، الرهانات وأساليب التطوير. مقال منشور بموقع معهد الهقار بتاريخ: ١٢ أفريل ٢٠٠٨

٤/ الحاج قدوري. الإهدار التربوي لدى طلاب كلية العلوم والعلوم الهندسية بالجامعة الجزائرية - ورقلة نموذجا - رسالة لنيل شهادة الماجستير. جامعة ورقلة كلية الآداب والعلوم الانسانية قسم علم النفس وعلوم التربية. ٣٠/٠٦/٢٠٠٥.

٥/ عبد الكريم بن أعراب، أهمية استقرار المنظومة الجزائرية للبحث العلمي في تحقيق التنمية الإنسانية، جامعة قسنطينة، LABECOM، الجزائر.

٦/ غنية شليغم و كاوجة محمد الصغير. مقال حول السياية البحثية في الجزائر الآليات والعوائق.

٧/ الطاهر هارون و فاطمة حفيظ. مقال بعنوان: إشكالية الابتكار والبحث والتطوير في دول المغرب العربي (تونس، المغرب والجزائر). الملتقى الدولي حول اقتصاد المعرفة. كلية العلوم الاقتصادية والتسيير. جامعة بسكرة. نوفمبر ٢٠٠٥.

٣/ أيمن يوسف. تطور التعليم العالي. رسالة لنيل شهادة الماجستير. جامعة بن يوسف بن خدة. الجزائر. كلية العلوم الاجتماعية والانسانية. قسم علم الاجتماع. ٢٠٠٧/٢٠٠٨.

٤/ أميمة أحمد. البحث العلمي بالجزائر بين زيادة الميزانية وإزالة العقبات. موقع الجزيرة نت. بتاريخ: ٢٠٠٨/١٠/٠٨. آخر تحديث الساعة ١٢:٠٩.

٥/ اتحاد مجالس البحث العلمي، البحث العلمي في الأقطار العربية، ورقة مقدمة للمؤتمر الرابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق. ١٩٨٧/١٢/١١.

٦/ حامد عمار، في بناء الإنسان العربي، دراسات في التوظيف القومي للفكر الاجتماعي والتربوي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988 .

٧/ زياد بركات و أحمد عوض. مقال بعنوان: واقع دور الجامعات العربية في تنمية مجتمع المعرفة من وجهة نظر عينة من أعضاء هيئة التدريس فيها. مقال منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية. ع ٥٦. كانون الأول ٢٠١٠.

٨/ مقدم وهيبة. الحاجة إلى تطوير المناهج الجامعية بما يتناسب مع متطلبات سوق الشغل في الجزائر. الملتقى الوطني الموسوم بـ: تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل. الجلفة. الجزائر. ١٩ ـ ٢٠ ماي ٢٠١٠.

٩/ نعيم بن محمد ، التعليم العالي في الجزائر: التحديات، الرهانات و أساليب التطوير، موقع معهد الهقار، (٢٠١٠/٠٤/٢٣)، www.hoggar.org

١٠/ اتحاد مجالس البحث العلمي، البحث العلمي في الأقطار العربية، ورقة مقدمة للمؤتمر الرابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق. ١٩٨٧/١٢/١١.

١١/ علوم وتقنية في الجزائر - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

١٢/ http://www.startimes.com/f.aspx?t=33772280